1.مقدمة الرواية: اغتصاب شرعي

في هذا الكتاب، لا نروي خيالاً، بل نسرد واقعًا يتكرر كل يوم، بصمتٍ مؤلم، وبوجوه كثيرة. نساء يُغتصبن باسم الزواج، ويُبعن باسم العادات، ويُجلدن باسم الفضيلة. حكايات تكتبها أيدينا، وتوقّعها أعراف مجتمع مريض، يبرّر القهر ويغلف الجريمة باسم "الستر" و"النصيب" و"القدر".

"اغتصاب شرعي" ليست مجرد رواية، بل صرخة من أعماق أنثى مسحوقة، واعتراف من رجلٍ أنه أخطأ حين ظن أن القانون يكفي وحده لمواجهة الجهل. ستقرأ هنا حكايات لا تبحث عن تعاطف، بل عن وعي. عن مواجهة. عن حساب.

في هذا الكتاب، كل كلمة خنجر، وكل فصل مرآة، وكل نهاية ليست نهاية.

□□□□

2.مقدمة الراوي:

ينتابني شعورٌ خانق، مزيج من الخوف والكمد، حزنٌ يتكاثر في صدري كالسكاكين، وكَظْمَةٌ تخنق أنفاسي حتى أكاد لا أتنفس. وكأن جبلًا من الجور جثم فوق صدري، جثم بظلاله الثقيلة، بظلمٍ لا يرى له قرار، وانحدارٍ لا يعرف له قاع.

اختطافٌ، سبيٌ، اغتصابٌ، وبيعٌ للأنثى في مزاداتٍ علنية، تُقام على مرأى ومسمع الجميع، وتحت ظلال الشرع المزيّف والقانون الأعور. تُعرض الأرواح للبيع، تُعبّأ المشاعر في صناديق الكتمان، وتُغلف الكرامة في كراتين تُنقل من يدٍ إلى يد، في زمن يُسمى زورًا زمن الحرية، وفي قلب ثورة التكنولوجيا والانفتاح.

لكن، يا للمفارقة! في مجتمعات لها أعين لا تُبصر، وآذان لا تسمع، وقلوب لا تعقل. مجتمعات تقوقعت خلف جدار العيب، وانتحرت تحت سكين العار، حتى صاروا أضلّ من الأنعام، حُجبت عنهم الحقيقة بغشاوة الجهل، فظلّوا، وأضلّوا.

هذه الحكايات ليست من الماضي، بل من كل بيت، من كل حيّ، من كل زاوية في أوطان تمارس الذبح باسم القدر، وتُبرر الجرائم باسم النصيب، وتُغتصب النساء بأمر العادات، وتُجلد الحرائر باسم القبّيلة.

□□□□

3.الإهداء:

إلى كل فتاة جُلدت باسم القبّيلة.
إلى كل امرأة سُبيت باسم الزواج.
إلى كل أنثى انتُهكت باسم النصيب والقدر.
هذه الحروف شاهدة، وهذه الروايات مقاومة، حتى يعلو صوت العدل في أرضٍ أُخمد فيها الحق باسم الحياء.

□□□□

4.محتوى رواية: "اغتصاب شرعي"

□□□

1. مقدمة الرواية: "اغتصاب شرعي"

2. مقدمة الراوي

3. الإهداء

4. محتوى الرواية

□□□

الجزء الأول: في حضرة القهر

5. "اغتصاب شرعي"
(أ) ليلة الزفاف
(ب) زمن الزغاريد
(ج) الغرفة المُغلقة
(د) النهاية المأساوية
(هـ) الخاتمة المرتقبة

□□□

الجزء الثاني: نساء من زجاج

6. "وعد من خلف الزجاج"
7. "يوسف وشذى: حب على خط الحدود"
8. "ظلُّ الزهرة الأخيرة"

□□□

الجزء الثالث: وجوه العدالة الزائفة

9. "اعترافات محامٍ نادم"
10. "ثمن الأبوةِ"
11. "المزاد الأخير"

الجزء الأول في حضرة القهر

5."أغتصاب شرعي"

مقدمة فصل: اغتصاب شرعي

هناك لحظات لا تُنسى، لا لأنها جميلة، بل لأنها حفرت جرحًا لا يندمل. "اغتصاب شرعي" ليست مجرد قصة، بل اعتراف صارخ بأن تحت عباءة العُرف والدين، تُرتكب جرائم ناعمة، لا يُسمع لها صوت لكنها تُزلزل الأرواح. هذا الفصل شهادة امرأة، لا تُدين رجلًا بعينه، بل تُدين منظومة كاملة تبارك الوجع باسم الفضيلة، وتُغلف القهر بورق الزفاف.

□□□

(أ).ليلة الزفاف

كنتُ طفلةً حُرّة، أركض في زوايا بيتنا الصغير، واسمي يملأ المكان دفئًا.
بسمة...
هكذا يناديني أبي، وتهمس به أمي، ويتهامس به أخي.
"بسمة"... اسمٌ كان يتردد على ألسنة الجميع، كأنني اللحن الوحيد في أغنية طفولتي.

أذهب إلى المدرسة ممسكة بيد أبي. يلتقي بأصدقائه، فيقدمني إليهم بفخر:
– هذه ابنتي بسمة.
– ما شاء الله... جميلة جدًا!
– ذكية، حلوة، ملكة جمال!
ينادونني: "بسموة... بسومة"، وتتلألأ عيوني بفرحٍ لا يوصف.

في طابور المدرسة الصباحي، يتردد اسمي في مكبر الصوت:
– فلتتفضل الطالبة بسمة لإلقاء الكلمة!
ثم يأتي التصفيق الحار، ويُعلن عبر السماعة:
– الأولى على المدرسة... بسمة!

أبي، أهلي، جيراني، والناس جميعهم يصفقون... يتهامسون بدهشة:
– من هي بسمة؟
– هذه ابنة عاقل الحارة... أذكى طالبة!

تُسلَّم لي الجائزة، ويمتلئ كياني فرحًا. أُرفع من الأرض إلى الطاولة، ويُقال عبر المكبر:
– هذه بسمة... التي أبهرتنا بذكائها!

وكان عمري آنذاك... خمس سنوات فقط.

□□□

اليوم، أرتدي السواد.
من رأسي حتى قدمي.
في الخامسة عشرة من عمري... واختفى اسمي.

لم أعد "بسمة"...
صرتُ "أخت هارون".

في البيت، تُهمس باسمي كأنّه خطيئة، فالعادات تحرّم مناداة الأنثى إذا بلغت الحُلم.

صرخ أخي مرةً من الحمام:
– بسمه! الصابون دخل عيني!
فصرخ أبي فيه:
– اخفض صوتك، سيسمعك الجيران!

اسمي... صار عورة.
يا لها من عادات وثنيّة!
أليس الله قد قال: "يا مريم اقنتي لربك"؟!
فلماذا تُخفون اسمي؟!

أخي يرث أكثر مني.
يخرج متى شاء، يعود متى شاء.
أما أنا، فمأسورة في المطبخ والغسيل والعجن والخبز...
كل يوم... كل ساعة.
ولا يحق لي حتى الدراسة!

حتى اسمي... أخذه مني أخي.

أين العدالة؟
لماذا يتحرّك الذكر بحرية، وتُسجن الأنثى خلف ستائر العادات؟
لماذا يُقال عني "أخت هارون"؟!
ولِمَ لا ينادونني باسمي؟!

صوتي عورة.
اسمي عورة.
وجودي عبء.

يقولون الجنة تحت أقدام الأمهات، ثم يصرخون: النساء أكثر أهل النار!
أي تناقض هذا؟!
أنا التي عملت طوال عمري بصمت...
أطبخ، أنظف، أغسل، أخبز، أبتسم...
أيعقل أن يكون مصيري النار؟!

الآن... يُدفع مهرٌ: "اثنان مليون".
سيأخذونني لرجل لا أعرفه.
من محافظة لا أنتمي لها.
لا أعلم اسمه، لا ملامحه، لا قلبه.
هل هو طيب؟ هل هو قاسٍ؟
هل هو كريم أم بخيل؟
هل هو مريض؟ نظيف؟ عجوز؟ شاب؟
لا أعلم.

لكني أعلم أنني "بيعت".

أهكذا تُكافأ ابنة العائلة؟!
أهكذا تُهدى "بسمة" لرجلٍ غريب؟!

زغاريد... ضحك... ألعاب نارية على السطح.
أخي يصرخ فرحًا:
– اليوم زفاف أخت هارون!

وأنا... أذرف دموعًا لا تُرى.

ألستُ "بسمة"؟!
هل نسيتم اسمي؟!

زميلاتي يرقصن.
إحداهن تقول: "بالله تقومي ترقصي".
أخرى تُقسم: "أقسم إنك لازم تبري يميني!"
أقوم... أرقص...

لكنني أردد في داخلي:
"ولا تحسبن رقصاتي بينكم طربًا... فالديك يرقص مذبوحًا من الألم."

الكل يأكل، يشرب، يفرح...
وأنا... أتمنى أن يتوقف الزمن.

أُراقب القرية من نافذتي...
أتراهم مجتمعين لإنقاذي؟
لا... بل لدفعي إلى المجهول.

من بين الجموع، رجل ملحد –كما يقولون–
قال: "هذه جريمة!"
كان الوحيد الذي اعترض.
لم يؤمن بدينكم، لكنه آمن بإنسانيتي.

أحبه... لأنه الوحيد الذي شعر بي.

قالوا عنه: في النار.
لكن إن كان هو في النار...
فنحن أيضًا فيها.

□□□

كتبه: نجيب أحمد محمد محسن
2023/5/25م

"اغتصاب شرعي"

(ب).زمن الزغاريد

وفود تتوافد... نساء يزغردن، وبنات يرقصن، وأصوات تتعالى: "سبحان الله، نصيب!" تقولها امرأة كانت تقف قريبة مني، وهي تضحك وتتأمل في وجهي.

من إب إلى ذمار، أنا مجرد صفقة زواج. صفقة يقولون عنها "نصيب".

لكن قلبي لم يوقّع هذا العقد.

أنا في القرن الواحد والعشرين، وأشعر أني أُباع كما تُباع المتاع، يُنقل جسدي من بيت إلى بيت بثمن بخس: مليونان من الريال اليمني، لا أدري إن كانت وصلت فعلاً إلى أبي... أو إلى جيب من؟

من هذا الرجل الذي دفع ثمنًا ليصير مالكًا لي؟ من دلّه علي؟ من سمح له أن يراني شيئًا يُشترى؟ ولماذا لم يسألني أحد عن رأيي؟

صوت النساء، ضجيج الطبول، الزغاريد، تعلو من حولي. أجلس على ما يسمونه "هودج العروسة"، والبيت مزدحم. الصالات ممتلئة، الغرف لا تتسع، والهواء يُسرق من رئتي. الناس تبتسم... وأنا أختنق.

أنظر من نافذة قريبة. الرجال أيضًا يتوافدون... وجوه كثيرة لا أعرفها، وكلها تشارك في جريمة.

يسأل أحدهم عن موعد الزفاف. يتجمد الدم في عروقي، يرتجف قلبي، تزداد دقاته، وأحاول أن أتنفس.

يقولون: "ما شاء الله، تجنن!" ويضحكون.

إحداهن تقول: "أدعوا الله أن يكون العريس شاباً!" وأنا أضحك في داخلي بسخرية حزينة: وهل الدعاء سيعيد الزمن؟ عقد القران تم. اسمي كُتب على ورقة، ومعه توقيع والدي الذي سلّمني دون رجفة يد.

أسمع بنتاً تقول: "قمري شل بنتنا". تتراءى لي فكرة ساذجة: ربما هو جميل؟ ربما هو شاب؟ ربما...

الأسئلة تزدحم في رأسي. أنفاسي تتسارع. أخي هارون فوق السطح يجهز للألعاب النارية. أحد الرجال يهتف: "أشعلوا السماء عند خروج أخت هارون!"

السماء تُشعل عند خروجي؟

كان الأَولى أن تُشعل الدنيا حين تم بيعي!

أنا أصرخ بصمتي، لا أحد يسمعني.

الوصيفات تجهزني. الدمعة تنزل من عيني، فتسرع إحداهن بمسحها: "لا عليكِ يا عروسة... قريب تفرحي!"

ما أقسى الجُملة!

ليست هذه دمعة فرح، بل وجع عميق لن يندمل حتى لقاء ربي.

والدتي ترش العطور وتزغرد، والموسيقى تعلو. النساء يرقصن، والبنات يصفّقن.

كل هذه الجموع تحتفل بجنازتي... بزفافي، أقصد. أو هل هناك فرق؟

كل هذه الوجوه تفرح... وأنا أغادر مدينتي، قلبي مشطور، وجسدي مبيع.

أودع أمي، أبي، أخي. نبكي جميعًا. لحظة خداع جماعي باسم العادات. لحظة لا نعرف فيها من الجاني.

إن كان أبي باعني، فهو أيضًا يبكي. أمي تبكي، أخي يبكي.

من الجاني إذًا؟ العادات؟ الجهل؟ القبيلة؟ الدين المزوّر؟

نحن نُجبر على لغة لا صوت فيها: لغة الدموع.

ونحن نبكي جميعًا...

لأن الجاني الحقيقي واحد: الجهل.

لولا الجهل، لما كانت العبودية، ولا الظلم، ولا بيعي بثمن.

الرصاص في الخارج يُطلق فرحًا. يقولون: "شواعة ذمار!" لكنني أسمعه كأنه طلقات تنفيذ حكم إعدام.

أنا أُساق نحو رجل لا أعرفه. هذا ليس زفافًا... هذه قافلة عبودية جديدة.

لو كانت هذه الصفوف لصلاتي جنازة عليّ، لكنت ارتحت.

الفستان الأبيض على جسدي الآن لا يختلف عن الكفن.

إنه ليس حبًا، ولا زواجًا... بل قهر مغلف بالسكر، وجريمة تمضغها الجموع بضحكٍ وغفلة.

هذه ليست فرحة، إنها كذبة تورثها أجيال لأجيال.

كذبة اسمها: زفاف.

وحقيقتها: اغتصاب شرعي.

– بقلم نجيب أحمد محمد محسن 2023/5/29م + 2023/5/30م

□□□□

" اغتصابٌ شرعي"

(ج). الغرفة المغلقة

لا فرق بين صفوف المشيّعين في جنازة، وبين الصفوف التي تصطفّ لإخراج "العروس" من بيتها كسلعة مبيعة باسم الزواج.

اقتربت أصوات الرصاص.. ساعة الصفر تدقّ، والعقارب تلدغ بثبات.

اثنتان وأربعون سيارة قادمة من محافظة ذمار، محمّلة برجال مدججين بالسلاح. كل هذا الموكب... من أجل زفافي.

لكن الحقيقة تُغتال حين تُغطّى الجريمة بستائر منمّقة، معطّرة، تتدلّى منها أبيات الشعر الملوّثة بالموروث الوثني.
من أراد أن يرى بشاعة الظلم بعين البصيرة، تعرقلت رؤيته بتلك الأستار. لا يكشف الحجاب إلا قليلٌ من الناس... وهم قلّة، يُلامون، ويُقصون، ويُتهمون بالجفاء.
يمرّون على مجالس الزيف مرورًا سريعًا.. شُكرًا ومرور الكرام.

أصوات تتعالى من نافذة الغرفة:

– "خفّفوا من إطلاق النار، خاصة في هذا الحي."
– " لندّخر الرصاص حتى نصل إلى ذمار!"
– "نُشعل سماءهم كما أشعلوا سماءنا، ليعلموا أننا نحمي شرفنا!"

انفجر المكان بالتصفيق والهتاف: "نِعم الرأي... ومليون نعم!"

أتنفّس أنينًا مخنوقًا، ودموعي السوداء بالكحل تنزف من العينين.
الجهل ميراث الوهن والخوف، والبيع باسم العادات جريمة مغطاة بورق زينة.
من أراد حماية شرفه، فليتسلّح بالعلم، لا بالبنادق.
فالعِلم نور، ومن يرى النور لا يسقط في الظلام إلا نادرًا.

اثنتان وأربعون سيارة؟!
تفرّقت على مداخل القرية، ونزل منها رجال كأنهم خرجوا من فيلم حرب، بأسلحتهم ووجوههم الجامدة.
أسمع خطواتهم.. جموعٌ غفيرة تقترب.

خانني كل شيء.
والدي باعني.
كل من حضر هذا اليوم شارك في خيانتي.
حتى ساقاي رفضتا حملي.. ارتعشتا وارتخيت.
كأنهما تصرخان: "لا تذهبي!"
لكن لا مهرب... هناك أيدٍ ستدفعني رغمًا عني، تحت سطوة موروث جاهل.

أُطلق الرصاص، وتزاحمت البنادق في السماء.
تصالح الفريقان، إب وذمار، على إتمام الصفقة.

الخوف كمّل سيطرته عليّ، نبضات قلبي تطرق جدران صدري بعنف، تختلط بأصوات الطبول.

أوشك على الانهيار.
أتمسّك بوالدي، وأمي على يساري.
ساقاي ترتعشان.
أحدهم يصيح من الخارج:
– "توقفوا عن إطلاق النار! رصاصة راجعة أصابت امرأة تحمل جرة ماء... نقلوها للوحدة الصحية!"
إحدى الوصيفات تضحك:
– "جاءت في الكتف؟ سلامات!"
ثم تواصل الاستماع لأغنية منى علي على الـ*MP3*...

وتنطلق منى علي بصوتها الملحيّ:

"أودّع الحجرة والجّبي... أودّعك يا بيت أبي."

تمزقني الكلمات.
صوت فتاة أعرفها يبكيني:
– "لماذا استعجلتم خروجها؟ كنا نريد أن نشبع أعيننا منها!"

أبكي لأنهم يودعونني كميتة.
لن أعود إلا زائرة، وفي مناسبات لا تحتمل إلا الوجع.

منى علي تتكلّم بلساني، بكلماتي أنا:
"عادني صغيرة يا أمي، عادني قليلة يا أبي..."

لكن لا أحد يسمع.
الكل يعمل تحت سلطة موروث لا يرحم.

خرجتُ من دارنا أتحامل على أبويّ، ساقاي لا تحملاني.
الرصاص يدوي، البخور يختنق في صدري، والدموع تسبقني.

السيارة مزينة بالورود على شكل قلوب، وأنا قلبي يرتجف.
حاولت الصعود، فلم أستطع.
حملني والداي كما تُحمل الأمانة المبيعة.

انطلقت القافلة... سبعون سيارة، وسيارتي في آخرها.
إنه يوم زفافي...
أتمنى أن تتعطل السيارة...
أن تطول المسافات...
أن لا أصل!

رنّ هاتف السائق:
– "حسبنا الله ونعم الوكيل!"
سأل والدي: "ما الذي حدث؟"
أجاب السائق: "المرأة التي أُصيبت بالرصاصة... ماتت."

وقع الخبر كالصاعقة.
لم يكتفوا بشرائي، بل قتلوا امرأة في الطريق، بلا قصد، بلا مبالاة.

وصلنا ذمار، وصلنا تخوم القرية.
منزلٌ بدائي فوق صخرة سوداء، سقفه من طين الكربة الحمراء.

عند الباب، وقف رجل طاعن في السن، فوق رأسه تاج ورد، في عينيه دمعة حمراء، يحمل سيفًا، يتهيّأ لملاقاتي...

هو هذا؟
هذا من اشتراني باسم الزواج؟
سيكون وليّ أمري؟
ليتني كنت مجنونة، أو عرجاء، أو لا شيء... فقط كي لا أصل لهذا اليوم!

أخي ينزل من السيارة كمن يقتحم ساحة قتال، يطلق الرصاص وكأن السماء عدوه.
كلهم يطلقون النار ليُثبتوا رجولتهم... لأجل صفقة تمت باسم الشرف.

أبي الحبيب بجانبي... كم هو جميل، وكم هو طيب.
أتمسّك به، أستنشقه للمرة الأخيرة.
وأمي أيضًا...
شدّدتُ قبضتي على معصميهما كأنّي أقول: لا تتركوني...

لكن الأيادي الغريبة سحبتني... بقسوة.

الرصاص.. الزغاريد.. البخور..
خانني كل شيء حتى الهواء.

كيف ليدٍ ربّتني بلطف، أن تسلّمني للبيع؟
عقد الزواج؟ بل عقد بيع، مزوّر ومُشرّع، يقنّن الاغتصاب تحت عباءة الموروث الذكوري المتسلّط.

نجيب أحمد محمد محسن

2023/6/10م

□□□□

تابع

"اغتصابٌ شرعي"

(د).النهاية المأساوية

غرفة سقفها من الزنك والخشب الرطب، وجدرانها من حجارة بركانية سوداء، تفصلها فراغات تبثّ الرطوبة والرهبة في أرجائها. الأرضية كذلك من صخر بركاني، كأنها سجّادة عذاب.

ازدحام خانق. فتيات في الممرات والمداخل. الأجساد تملأ المكان، والهواء يتسرّب بصعوبة.

يدٌ خشنة تطوّق خاصرتي. تسحبني بقوة وسط الجموع. لحظة الخوف بدأت تتلاشى... حلّ محلّها شعور أسوأ: الغموض.

امرأة تصرخ: "افسحوا الطريق للعَرسان!"

نصل باب الغرفة. يده التي أمسكتني بقوة، تدفعني فجأة إلى الوراء، بعنف!

أكاد أسقط... لولا ازدحام النساء لكنت على الأرض الآن.

ما الذي حدث؟ لماذا رماني هكذا؟ أهذا هو من دفع ثمن جسدي؟ أهذا الرجل الذي أتى بي من محافظة إلى أخرى، من دار إلى دار؟ أهذا من استلمني من يد أبي؟

هل رآني ناقصة؟ معيبة؟ غير مرضيّة؟ هل السلعة التي اشتراها ليست كما توهّم؟

لكنه لم يراني أصلًا... لم ير وجهي، ولا سمع صوتي. فقط جرّني معه كما تُجرّ النعجة، ثم دفعني كأنني حملٌ زائد.

نساء يزغردن، وكأن شيئًا لم يحدث. يدفعني الداخل، النساء تحشرني، غرفة أشبه بالزنزانة.

جدار من الفتيات يُزغردن ويضحكن، يدفعنين دفعة واحدة، فأهوي إلى الداخل، أجلس على بلاط بارد بجوار مقعد خشبي... عليه يجلس من يسمونه زوجي.

أطأطئ رأسي خجلًا وخوفًا، أتسلل بنظري إلى أسفل، أرى قدميه... خشنات، أظافره طويلة، متسخة، أظافر يديه كذلك.

أهذا قدري؟ أهذا من سأشاركه العمر؟

كم من السنوات سأقضيها مع رجل لا يلامسني فيه شيء، لا في الخُلق، ولا في الطبع، ولا في الهيئة؟

اللحظات الأولى كافية لتذوق طعم العبودية. كافية لفهم معنى "الاغتصاب الشرعي".

كم تمنيت أن ينهار البيت علينا جميعًا، فتكون هذه لحظتي الأخيرة.

عليّ الآن أن أُعيد تشكيل نفسي، أن أتبدّل، أن أتحوّل إلى امرأة تُرضي سيّدها... أقصد، زوجها.

شربنا الشاي، أكلنا عسل النحل، جلسنا أنا وهو، ومعنا أمي، أبي، أخي، وأقاربه، وأمه، وأخته، وزوجة له... تلك الأخيرة كانت تحدق بي كما تود لو تمزقني بأسنانها.

ودّعت أهلي... دموعي غسلت وجهي، قلبي يغرق، أمي تحتضنني، أبي يربّت على كتفي. خرج الجميع... وبقيت.

أنا، والوصيفتان، وهو.

الوصيفتان كانتا باردتين، لكن حين حاول أن يجرّدني من ثيابي، اعترضتا. أحسست ببصيص رحمة.

لكن سرعان ما احترق هذا البصيص.

إحداهن قالت: "لا تنزع عنها شيئًا... حتى تدفع لنا حقنا."

حقهن؟ أتقايَض على عريي؟ هل أنا غنيمة حرب؟ أتُسعّر لحظة الاغتصاب بينه وبينهن؟

أحسست أنني ظبية بين سباع.

الوصيفات لا يُنقذنني، بل يُسلّمنني.

الغرفة أصبحت غرفة إعدام.

ترتجف كل خلية في جسدي، أنا عارية، مختبئة، عارية تمامًا من كل حماية.

أبحث عن وجه أمي، أستدعيه في خيالي، أستنجد بها، فلا يأتيني غير خيالها المهزوم.

العريس العشماوي يقترب، عاريًا من الرحمة، يشهر سلاح ذكورته في وجه خوفي، وأنا كالجيفة في ركن من الغرفة.

فجأة... يتردّد صوت الفنان عبدالباسط عبسي من الراديو، من زاوية الغرفة:

يمّه... ظلمني أبي...

كأن الصوت ينطق باسمي. كأن اللحن يصدر من صدري. كأن الغناء هو صرختي أنا.

الظلم الذي بدأه أبي... لا يمحوه إلا ربّي. الاغتصاب الذي باركوه، سيبقى جرحًا مفتوحًا في هذا الجسد، وفي ذاكرة كل فتاة مثلي.

. بقلم نجيب أحمد محمد محسن 2023/7/1م

□□□□

تابع

"اغتصاب شرعي"

(ه). الخاتمة المرتقبة

استيقظتُ فجرًا، لا لأداء صلاة، بل لأن جسدي كله يئنّ. فتحتُ عينيّ على سقف الغرفة المائل، وأول ما أحسستُ به... لم يكن النور، بل البلل.
شعرتُ بأنني غريبة في جلدي، كأنني خُلقتُ من جديد، لكن لا ولادة هنا... فقط موتٌ آخر، داخليّ، بطيء.

نجيب البرازلي

كان هو نائمًا بجانبي، يشخر، وقد استدار إلى الجهة الأخرى. لم أجرؤ على الالتفات. كنتُ أرتجف من فكرة أن أراه.

ببطء شديد، سحبتُ الغطاء على جسدي كما تسحب الأرض ترابها على قبرٍ جديد.

كنت أودّ أن أبكي... لكني استنفدتُ الدموع أمس.

هل انتهى كل شيء؟ هل أصبحتُ زوجته حقًا؟ هل هذه هي النهاية التي طالما خفتها؟

نهضتُ بصمت، أبحث عن ملابسي الداخلية التي مزقها بالأمس، فلا أجد منها سوى قطعة واحدة... كأنها بقايا معركة غير متكافئة.

في الزاوية، وجدتُ فستاني مطويًّا على كرسيّ مخلوع الساق. ارتديته كما ترتدي الأرملة كفنًا مؤجلًا.

خرجتُ إلى الفناء. النسوة لا يزلن نائمات في الغرف المجاورة. لا أحد يراني. لا أحد يسمعني. لا أحد يعلم أني لست عروسًا، بل سبيّة.

في هذا البيت الذي يسمونه "بيت الزوج"، لم أشعر يومًا أن لي مكانًا. لم أجد مرآة لأراني. لم أجد كرسيًا لأجلس. لم أجد ظلًا لأختبئ.

كل شيء يُشير إلى أنني دخلتُ زنزانة.

هو لم يستيقظ بعد، لكنه ترك آثاره على جسدي، كما يترك السجّان سياطه على ظهور العبيد.

في اليوم التالي، جاءني صوت زوجته الأولى. نادتني باسمي مجردًا، دون لقب، دون حتى "يا". – بسمة، اغسلي الصحون.

أجبتُ: حاضر.

دخلتُ المطبخ، لم أكن أعرف أين تُوضع الأكواب، ولا كيف يعمل الموقد، ولا نوع البهارات. لكني اشتغلتُ. لأن العبد لا يسأل عن الأدوات، بل يُؤمر ويُطيع.

مرّت الأيام بطيئة، وكل ما فيها ثقيل: وجهه، صوته، رائحته، طلباته، لمساته... كل شيء فيه كان عبئًا على حواسي.

أمشي في البيت كأنني ظل. أتكلم فقط حين يُسمح لي. أتنفس حين يُنسى وجودي.

لم يعد أحد يناديني باسمي، ولم أعد أنا أُعرّف نفسي بشيء. اسمي اختفى، كما اختفت إرادتي.

ليست هذه حياة. هذا سجن طويل.

لكن حتى في السجن، هناك لحظات ينهار فيها الجدار.

في إحدى الليالي، تسللتُ إلى سطح البيت، رفعتُ رأسي إلى السماء، وقلتُ في صمت: "يا رب، لستُ أدعوك لأن تُخرجني من هنا فقط... بل لأن تُخرجني مني."

أريد أن أخرج من جسدي، من جلدي، من خوفي، من طاعتي القسرية، من هذه العبودية التي أعيشها بابتسامة خائفة.

إنني أنزف كل يوم... وليس في هذا البيت من يملك ضمادة، ولا من يلاحظ الدم.

لكنني، والله، لن أنسى. لن أنسى تلك الليلة، ولا هذا البيت، ولا هذا الرجل.

وسأكتب. سأكتب كل شيء. وإن عشتُ صامتة، فالكتابة صوتي. وإن متُّ وأنا أكتب، فذلك أعظم انتصارٍ على هذا الاغتصاب الشرعي الذي باركوه جميعًا.

بعد عام، وُجدت بسمة في غرفة صغيرة مهجورة على أطراف القرية. ممدّدة، ساكنة، باردة. جسدها الهزيل لا يحمل آثار ضرب، لكن ملامحها كانت تقول إنها ماتت أكثر من مرة وهي على قيد الحياة.

في زاوية الغرفة، وُجد دفتر. عليه بقع دموع، وكلمات غير مكتملة. لكن كل صفحة فيه كانت تصرخ.

كانت تلك الصفحات هي هذا الكتاب. هذا الكتاب الذي تقرأه الآن، هو آخر ما كتبته بسمة قبل أن تختفي إلى الأبد.

ربما ماتت بسمة، لكن صوتها لم يمت. لقد صار الكتاب شاهدًا، وصار الألم شهادة. وصار الصمت ثورة.

. بقلم: نجيب أحمد محمد محسن

2025/4/20م

اليمن-إب-النادرة-شعب المريسي-شعبة مسلّم

□□□□

الجزء الثاني: نساء من زجاج

نجلاء الرابعي

6. "وعد من خلف الزجاج"

مقدمة فصل: وعد من خلف الزجاج

ما أصعب أن تُحب وتنتظر، وما أقسى أن يمضي عمرك منتظرًا وعدًا لم يتحقق. "وعد من خلف الزجاج" ليست حكاية عن الوفاء فقط، بل عن امرأة جعلت من حبها عقيدة، ومن الانتظار صلاة. هي قصة امرأة تُعانق البحر بعينيها كل يوم، لا تطلب سوى أن يفي الحب بوعده، فإذا بالبحر يُعيد لها جثة... ويأخذ منها الروح.

□□□

"وعد من خلف الزجاج"

رجلٌ ثري، يملك ثروةً طائلة، اشترى فيلّا فاخرة ، ثم أهداها لزوجته على أحد السواحل، وجعل في أعلاها غرفة زجاجية تُطل على البحر. تزوج من فتاة كانت تُعدّ من أجمل فتيات عصرها، وأهداها تلك الفيلّا.

قضى معها ستة أشهر من العشق الهادئ، ثم حملت منه. وفي أحد الأيام، جلسا معًا في تلك الغرفة الزجاجية. كان هو على أحد المقاعد، وهي تجلس أمامه، وبينهما طاولة زجاجية. نظر في عينيها وقال:

"زوجتي الحبيبة، سأغادر غدًا مع شروق الشمس. سأركب السفينة، وأعود بعد شهرٍ تمامًا، في مثل هذا اليوم، يوم الاثنين."

ثم أمسك بكفيها وقال: "أرجوكِ، ودّعيني من هذه الغرفة الزجاجية، وكوني هنا بعد شهر، في نفس المكان، لتستقبليني من هنا حين أعود."

في الصباح، ركب السفينة، وهي تودّعه من خلف الزجاج حتى غابت عن ناظريها. وما إن اختفت السفينة في الأفق، شعرت بركلة من جنينها في بطنها، وكأن صوته يسألها: "أين أبي؟ وهل سيعود؟"

تحسست مكان الركلة، وعيناها تغرورقان، وهمست: "حتى أنت تفتقده، يا صغيري؟ رغم أنك لم تره بعد؟"

وبكت... وركل الجنين من جديد، كأنما يُبكي معها. مرت الأيام وكأنها دهور. كانت تحصي الثواني والدقائق، تنتظر موعد الاثنين الذي وعدها به.

وجاء يوم الاثنين، وقبل أن تشرق الشمس، كانت في الغرفة الزجاجية. عيناها مشدودتان نحو البحر، تقلب النظر بين الأمواج... لكن لا سفينة.

غاب الزوج. وركل الجنين.

قالت له: "ليته لم يُحدّد موعدًا، لكان الغياب أهون." وبكت.

مر شهران، وأكملت تسعة أشهر من الحمل، وها هو يوم الاثنين مجددًا. كانت تمشي في الغرفة ذهابًا وإيابًا، تتألم من ثقل الحمل ووجع الانتظار. والدتها كانت قربها، تُطمئنها وتُمسك بيدها. فجأة، شعرت بالمخاض، ووضعت مولودها هناك، في ذات الغرفة، تحت ضوء القمر.

ولمّا أشرقت الشمس، كان طفلها "وعد" يرضع منها، وهي تنظر من خلف الزجاج، تبحث عن ظلّ السفينة.

مرّت السنوات، وكبر وعد. وكل يوم اثنين، كانت الأم تصعد إلى الغرفة، تُحدّق في البحر، تنتظر... ولا أحد يعود.

عقد يليه عقد، و"وعد" يكبر، يتزوج، وينجب، وهي لا تزال تترقب عودة حبيب لم يأت.

تجاعيدها تحكي الزمن، وذهنها لا يزال مسمّرًا في لحظة رحيله.

وفي العقد السادس، وقد أنهكها الكِبر، قال وعد لابنته وفاء: "يا وفاء، اليوم الاثنين... ساعديني لنحمل جدتك إلى الغرفة الزجاجية."

صعدا بها، وأجلساها، وقد ضعف بصرها، وارتجف صوتها: "يا وعد، هل ترى شيئًا في البحر؟"

قال وهو ينظر: "نعم، هناك سفينة تقترب."

ابتسمت العجوز، ورفرفت روحها بالفرح كأنها تعود إلى العشرين.
حاولت الوقوف لكنها سقطت، فأمسكا بها. اقتربت السفينة، ورست أخيرًا قرب الفيلّا...

وكانت الصدمة.

عاد الزوج، لكن جثة هامدة، في تابوت من الخشب.

سقطت الأم مغشيًا عليها، وقبل أن يفيق وعيها، فاضت روحها. ماتت على أعتاب الوفاء، كما عاشت فيه.

ودُفنا معًا، في قبرٍ واحد.

حكاية امرأة علّمت الأجيال أن الحب ليس زمنًا، بل صدقٌ لا يموت.

بقلم: نجيب أحمد محمد محسن 2023/4/24م

□□□□

7."يوسف وشذى: حب على خط الحدود"

□□

مقدمة فصل: حب على خط الحدود

الحب لا يعترف بجنسية، ولا يستأذن العادات، لكنه حين يصطدم بالعنصرية، يُسحق. يوسف وشذى لم يكونا سوى ضحيتين لحدود وهمية تفصل بين قلوب البشر. هو يمني، وهي سعودية، والعقبة: اسم وطن. قصة "حب على خط الحدود" تصرخ في وجه الواقع: ما ذنب الحب إن وُلد في مكان خطأ؟ وما ذنب قلب اختار أن يحب خارج خريطة الهوية؟

□□□

"حب على خط الحدود"

يوسف... شاب يمني وسيم، ذكي، طموح. كان يحلم بأن يجمع ما يكفي من المال ليبني بيتًا مستقلًا، ويدّخر رصيدًا يحميه من مقالب الدنيا وغدر الزمن. قرر مغادرة مسقط رأسه في صبر - تعز، بعد أن باع معظم إرثه من الأراضي والأشجار، فقط ليحصل على فيزا حرة للعمل في السعودية.

بدأ يوسف رحلته في السعودية وهو يشق طريقه بعرق جبينه. عمل بجد حتى جمع مبلغًا مكّنه من افتتاح سوبرماركت في أسفل عمارة يملكها رجل أعمال سعودي. لم يكن يعلم أن تلك العمارة ستغير حياته إلى الأبد.

في الطابق الرابع من العمارة كانت تسكن شذى، فتاة في الثامنة عشرة، جميلة حد الذهول. كانت تنزل يوميًا لتشتري حاجيات المنزل من سوبرماركت يوسف. من أول نظرة تبادل قلباهما الارتباك، ثم النظرات، ثم الابتسامات... ثم صار لقاؤهما اليومي عادة لا غنى عنها.

تحوّلت الطلبيات إلى رسائل، ثم إلى همسات، حتى قالت له شذى ذات مساء: "يوسف، أخشى أن يُكتشف أمرنا..."

ردّ مرتجفًا: "وأنا كذلك يا شذى، لكنني لا أستطيع التراجع الآن..."

اقترحت شذى أن تمهّد الطريق، بأن تتظاهر بالمرض وتطلب من والدتها النزول بدلًا عنها، وهناك سيفاتح يوسف والدتها في أمر الخطبة.

وبالفعل، نزلت الأم. رأته، فحيّته. أعطاها الطلبات، وهمّ بالمغادرة، لكنها باغتته بسؤال:

"أأنت يوسف؟"

قال مرتبكًا: "نعم، سيدتي."

نظرت إليه نظرة الأم العارفة، ثم قالت بهدوء: "تحب ابنتي، أليس كذلك؟ وتريد الزواج منها؟"

طأطأ رأسه وقال: "نعم."

ابتسمت وقالت: "كنت أراقبكما من بعيد. ولو لم أرَ فيك خُلقًا وأدبًا لما تركتك تقترب منها. سأحدّد لك موعدًا مع والدها في الإجازة الأسبوعية."

طار يوسف من الفرح، وأخبَر شذى فبكت من السعادة. وأتى اليوم المنتظر...

في تلك الليلة، جلس الأب على مائدة العشاء، وابنته شذى بجواره. استغلت الأم الفرصة وقالت: "عبدالله، هناك شاب مؤدب، يعمل تحت عمارتنا، يحب شذى ويريد خطبتها."

سأل الأب: "ومن هو؟"

أجابت: "يوسف، صاحب السوبرماركت."

قال: "أهم شيء رضا شذى."

أجابت شذى بخجل: "أنا موافقة."

ابتسم الأب وقال: "فليأتِ بعد غد."

أتى يوسف، وقوبل بترحاب، حتى سأله الأب: "من أين أنت يا يوسف؟"

قال: "من اليمن، محافظة تعز."

فتبدلت ملامح الأب. قطّب حاجبيه، وقال: "لا، لا يمكن. بنتي لا تتزوج يمني. هذه إهانة لي ولعائلتي."

صُعق يوسف. خرج محطمًا، دخل متجره والدمع يغلي في عينيه. أما شذى، فبقيت طوال الليل تبكي حتى قررت أن تفعل المستحيل.

في صباح اليوم التالي، نزلت إلى يوسف وقالت: "لن يحول بيننا شيء، إلا الموت. فلنهرب."

قال: "إلى أين؟"

أجابت: "إلى اليمن."

جمع يوسف ماله، وحزَم بعض المواد الغذائية في سيارته، واتفق معها على الهروب بعد ذهاب والدها للعمل.

وهربا...

وصلا إلى اليمن. عقد القران في أول محطة قضائية، ثم توجها إلى مسقط رأس يوسف في جبال صبر. تزوجا هناك، وبدأت حياتهما الجديدة.

لكن المال نفد، وانهالت عليهما الأعباء. ضاقت الحياة، ولم يتحمل يوسف قسوة الفقر، فأصيب بانهيار عقلي. فقدَ وعيه بالحياة.

أما شذى، فكانت امرأةً من ذهب. عملت بالخياطة، وربّت أبناءها، واعتنت بزوجها المجنون، صامدة رغم قسوة الحياة.

وهكذا انتهت قصة حب، كانت حلمًا وانتهت بواقع مرير.

قصة يوسف وشذى... حكاية تروى للأجيال عن الحب، والرفض، والتحدي، ثم الخذلان.

بقلم: #نجيب_أحمد_محمد_محسن

2023/11/6م

□□□□

8. "ظلُّ الزهرة الأخيرة"

مقدمة الفصل:

حين يكون الوطن جريحًا، تصبح الحدائق ملاذًا لأرواح مثقلة، وأحيانًا مسرحًا لمآسٍ لا تُروى إلا بألم.

في بلادٍ تاه فيها القانون، وتآمرت فيها الخيبة مع اليأس، لا يُثمر الجمال إلا إذا كان محاصرًا بالخوف.

هذه قصة فتاة خذلتها الثقة، وطاردها الشرف كقيد لا يغتفر، وقصة رجل لم يعرفها إلا صدفة، لكنه بات شاهدًا على اللحظة التي انتصر فيها الإنسان... ولو لمرة واحدة.

"ظل الزهرة الأخيرة" ليس مجرد لقاء عابر في حديقة، بل سؤال مفتوح: هل نحن من نصنع القدر أم أن القدر هو من يسخر منا؟

□□□

دخلتُ إحدى الحدائق في قلب العاصمة"صنعاء" الجريحة، وكانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ظهرًا. أردتُ أن أبحث عن مكان هادئ أستطيع فيه الكتابة دون إزعاج، فوجدت مقعدًا تحت ظل شجرة زينة تُعرف باسم "بي جي الكوبية"، إحدى أجمل الأشجار وأكثرها شيوعًا في الحدائق العامة، بزهورها الكبيرة التي قد يصل طول عناقيدها إلى 12 سنتيمترًا. ما يميزها أنها تتحمل العطش، وتتأقلم مع مختلف الظروف، كأنها تعرف كيف تعيش في قسوة الواقع.

جلستُ، تنفستُ بعمق، وبدأت أبحث في ذاكرتي عن فكرة لكتابة رواية، عن قصة قد تغيّر شيئًا في القارئ، قد تترك أثرًا. فتحت دفتري، أمسكت قلمي، وبدأت أفتش عن قصة تستحق أن تُروى.

وفجأة، رأيتها...

فتاة في منتصف العشرينات، بملامح هادئة، وعينين واسعتين كُحّلتا بحزن دفين، بيضاء البشرة، تمسك بيدها ثلاث وردات: بيضاء، حمراء، وبنفسجية. كانت تمشي بخطى مترددة، تقترب مني شيئًا فشيئًا، حتى وقفت أمامي، وقالت بنبرة هادئة: "أخيرًا أتيت في الموعد، ظننت أنك لن تأتي."

نظرت إليها مذهولًا. لم أكن أعرفها. لم أفهم ما الذي يحدث. قلت في نفسي: لعلها كاميرا خفية؟ مقلب؟ تلفّتُّ حولي باحثًا عن المصور، لكنها أكملت حديثها دون تردد: "لو لم تأتِ اليوم، كنت سأنتحر. سئمتُ المواعيد الكاذبة."

أحسست بقشعريرة تسري في جسدي. اقتربت أكثر، ثم مدت يدها وقدّمت لي الورد. لكن فجأة ارتبكت، خفضت يدها وقالت بخجل: "آسفة، ظننتك زوجي."

طمأنتها، وقلت: "لا عليكِ، الخطأ وارد." وضحكنا قليلاً. ثم افترقنا.

جلست هي تحت شجرة قريبة، وبدأنا نختلس النظر إلى بعضنا، كلٌ منا يظن أن الآخر لا يراه. ثم رأيتها تجري اتصالًا وهي تنظر إليّ وتشير نحوي. بدا أنها تتحدث مع زوجها، أو شخص مقرب، وملامح وجهها بعد أن أنهت المكالمة كانت غاضبة. شعرت أن عليّ المغادرة. نهضت وابتعدت، لكن تذكرت أنني نسيت قلمي.

عدتُ بخطى سريعة لأخذه، وعندها رأيت المشهد الذي لن أنساه ما حييت.

كانت تلك الفتاة، تمسك مشرطًا طبيًا، وتكاد تقطع شريان يدها.

تجمد الزمن...

في لحظة، تدافعت في رأسي كل الأفكار: هل أتدخل؟ هل أهرب؟ هل أتحمل العواقب؟ ثم سمعت في داخلي صوتًا يقول: "من أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعًا."

قفزت نحوها، أبعدت يدها عن المشرط، وأمسكت كفها المضرجة بالدماء. كانت تبكي، ثم شهقت وقالت: "دعني، أنا مجرمة."

قلت: "أنت إنسانة، ولستِ مجرمة. لماذا تفعلين هذا؟"

قالت: "لقد انتهكتُ، خانني من أحببت، كذب علي، دمرني..."

خيط من الدم نزل من كفها وكفي أنا، كان المشرط قد خدش يدينا معًا، لكنني لم أشعر بشيء سوى برغبة في إنقاذها. أعطيتها المناديل، وقلت: "هيا، لنذهب إلى العيادة."

رافقتها. في الطريق أخبرتني أنها تُدعى جنّة، طالبة في جامعة العلوم. أحبّت زميلًا لها في قسم الفيزياء، ثم استدرجها إلى بيته بحجة مساعدة أخته، وهناك دمر كل شيء.

"قال لي إنه سيعوضني، سيخطبني، لكنه كاذب... اليوم كان من المفترض أن نلتقي، لكنه لم يأتِ... فقررتُ إنهاء كل شيء."

قلت: "لو كان صادقًا، لجاء من الباب. لا تعودي له، لا تثقي به. الحب الصادق لا يُدنّس."

أعطتني رقم هاتفها، وأعطيتها رقمي. افترقنا...

لم أنم تلك الليلة.

مرت أشهر، ثم قررت العودة إلى الحديقة. لكن المكان كان محاطًا بالشرطة. سألت الحارس فقال: "فتاة أطلقت النار على شاب، ثم انتحرت... هناك، تحت تلك الشجرة."

ارتجف جسدي. هل هي؟ هل فعلتها جنّة؟ غادرت المكان وأنا في ذهول.

في المساء، رن هاتفي. رقم غريب.

رددت، فسمعت صوتًا يشبه صوت جنّة، لكنها كانت أختها. قالت: "جنّة تركت لك رسالة في ظرف داخل مكتبها، وجدتها بعد الحادث. كتبت فيها أنها ستقتل الشاب ثم تقتل نفسها، وطلبت أن أبلغك."

انتهت المكالمة...

وبقي اسمها محفورًا في ذاكرتي.

رحمك الله يا جنّة...

2023/4/15م بقلم: نجيب أحمد محمد محسن

□□□□

"الجزء الثالث: وجوه العدالة الزائفة"

""""

9."أعترافات محامٍ نادم"

لجين العريمي

مقدمة: اعترافات محامٍ نادم

في أروقة المحاكم، بين القوانين والنصوص، نشأتُ أحمل حلم نصرة المظلوم، مؤمنًا أن العدل لا يموت ما دام هناك من يدافع عنه. لكني اكتشفت الحقيقة المرة: أن القانون في وطني ليس أكثر من قناع مهترئ يرتديه الجلاد، وأن العدالة تُباع وتشترى مثل السلعة الرخيصة. هذه ليست مرافعة... بل صرخة محامٍ نادم، عرف متأخرًا أن دراسته للعدل كانت في وطنٍ لا يعترف بالعدل.

□□□

"إعترافات محامٍ نادم"

يقول أحد المحامين اليمنيين:

بعد دراسةٍ عميقة للقانون استمرت أكثر من سبع سنوات، كان قلبي يفيض سعادةً كلما تخيلت نفسي في قاعة المحكمة، أرافع عن مظلوم، وأدافع عن حقٍ مُغتصب، وأُسقط الحُجج الواهية لأجل كلمة عدل تُقال.

كنت أزداد شغفًا مع كل كتابٍ أطالعه، ومع كل قانونٍ أفهمه، أتشوق لليوم الذي أقف فيه لنصرة إنسان ضعيف سحقهُ الواقع.

وكانت أول قضيةٍ أتسلمها، فتاة جاءتني تبكي، يعلو صوتها رجاءً وشكوى، وقالت بصوتٍ يملؤه الألم: "أنا فتاة من محافظة حجة، لم أكمل دراستي الأساسية، لم أحقق أيًّا من أحلامي، لأن رجلاً في سن والدي رآني وأنا أعود من المدرسة، فأعجبته. ولأنه يملك المال والعقارات والنفوذ، عرض مبلغًا على والدي، فباعني له كزوجة، تحت غطاءٍ شرعي، لكن الحقيقة أنها صفقة بيع مكتملة الأركان.

في أربعٍ وعشرين ساعة فقط، كُتب عقد الزواج زورًا، واستلم أبي المبلغ. لم أكن أدرك حينها أني بيعتُ بثمن بخس، بثلاثة ملايين ريال فقط. والأب الذي لطالما ناديته (بابا)، أصبح البائع، وأنا السلعة."

تابعت الفتاة سردها والدموع تنهمر على خدّيها: "نقلوني من محافظة حجة إلى مدينة الحديدة، وسُلِّمت كقطعة أثاث. وبعد زواجٍ دام شهرًا – حسب حساباتهم – لكنه كان دهرًا في حساباتي، طُلِّقتُ بلا سابق إنذار، بلا حتى أن أعلم أني أصبحت مطلقة. كل يوم كنتُ أُهان، أُضرب، أُذل، وأُعامل كجارية.

عدتُ إلى منزل والدي، قال لي: ستبقين معنا. قالها وهو يطأطئ رأسه، كأنه يعرف تمامًا حجم ما اقترفه. قالها وكأنني نُهشتُ ثم رُميتُ كعظمةٍ لا لحم فيها."

سكتت، ثم أضافت بصوت متهدج: "كنتُ حاملًا منه. وعندما علم بالأمر، صرخ: أسقطوه، لا أريد هذا الحمل! وفعلاً، تم إسقاط الجنين، وبموافقة والدي، مقابل مبلغ آخر استلمه ثمناً لسقوطي أنا وجنيني."

هربت الفتاة إليّ، تلوذ بي كأنني آخر قشةٍ في بحرٍ من الغرق. طالبتني أن أحميها بالقانون.

وفي أول جلسة، وقف القاضي، وقال لي بصوتٍ زاجر: "ما تِستحيش؟ تترافع عن فتاة تعق والديها؟"

لم أكن أعلم أن القاضي أيضًا قبض نصيبه.

تحولتُ فجأة من محامٍ يسعى لنصرة مظلومة، إلى متهم باختطافها. نعم، إنها الفلوس يا حضرات. والجهل. والموروث العفن.

نظرتُ إلى ذلك الزوج المتجبر وقلت له: "اشتريتَ البنت. ثم اشتريتَ والدها. ثم اشتريت القاضي. لكنك لن تستطيع شراء الضمير."

سُلب منها جنينها، وكأن شيئًا لم يكن.

ومنذ ذلك اليوم، ندمتُ على كل لحظةٍ أضعتها في دراسة القانون. ندمتُ على سبع سنوات من السهر، على كل ورقة، وكل محاضرة، وكل قسم قلته في بداياتي.

ففي بلادٍ لا قانون فيها إلا للنافذين، تصبح العدالة مهزلة، والمحامي تهمة، والحق مسخرة.

غادرتُ وطني هاربًا من عدالة تقتل المظلوم وتُكرم الجلاد.

لا بارك الله في وطنٍ يُباع فيه الشرف باسم الزواج، ويُذبح فيه العدل باسم القضاء.

2023/12/20م
بقلم: نجيب أحمد محمد محسن

□□□□

10."ثمن الأبوةِ"

مقدمة: ثمن الأبوةِ

خمسة عشر عامًا من الأمل، من الدعوات، من النداء الحالم: "يا دكتورة". لم تكن كلمات عادية، بل كانت وعدًا صامتًا بمستقبل مشرق. لكن الوطن الذي يبيع أحلامه بالرخيص، كان كفيلًا بأن يحوّل الحنان إلى صفقة، والعمر إلى ثمن. هذه ليست قصة فتاة فقط، بل قصة وطن يذبح أحلام بناته على مذبح الحاجة، ويدفن الكرامة باسم "النصيب".

□□□

"ثمن الأبوةِ"

خمسة عشر عامًا، وكان أبي يناديني بدلالٍ:
"يا دكتورة... يا أستاذة"
هكذا كان يزرع فيّ الحلم، يسقيني الأمل، يربت على رأسي كأنني مشروع نورٍ في زمنٍ مظلم.

ثم عضّه الفقر، وعضّته البلاد بأنيابها.
فما كان منه إلا أن باع الحلم... باعني بثلاثة ملايين ريال.
قالوا: زواج.
لكنه بيع...
صفقة مشفوعة بمباركة قبيلة ووليّ وشرع يُفسَّر حسب هوى الرجال.

خمس عشرة سنة أخرى قضيتها في بيت "المشتري".
رجل غريب لم أعرفه يومًا، صار اسمه زوجي، وكنتُ له مجرد "مره".
إن ابتسم ناداني:
يا حرمة.
وإن غضب، طعنني بكلماته:
يا دابة... يا حمارة... يا كلبة... يا وسخة.
شتّان بين نداء أبي الحالم ونداء هذا الوحش.

اليوم، بعد عمرٍ من المرارة، رحل.
حادث مروري لم يُبقِ من جسده شيئًا، لكنه أراحني.
لم أصرخ، لم أبكِ، لم أبتسم.
نظرتُ إلى أطفالي الثلاثة، وسألت نفسي:
هل أفرح بنجاتي؟ أم أحزن لأن الحياة تركت لي بقاياه؟

أنا الآن أخيط فساتين الأعراس، لأكسب قوت يومي،
في حين أن شبابي يُسحب من عمري خيطًا بعد خيط.
لكنني ما زلتُ أتنفس... وهذا كافٍ لأبقى.
وإن كنت سأصفح، فسأصفح عن أبي، لأنني أحببته.
أما الظالم... فلي بين يدي أعدل الحاكمين موعد، لن يُؤجل.

19/12/2023
بقلم: نجيب أحمد محمد محسن

□□□□

11."المزاد الأخير"

مقدمة الفصل:

ليست كل المعارك تُخاض بالسلاح. بعضها يُخاض بالقلب، بالصبر، بالخذلان.
وفي أوطانٍ أرهقها الفقر والجهل، تتحوّل الأحلام إلى سلعة، وتُعرض الكرامة على الطاولة... ويُدفع الثمن.
هذه قصة رجل لم يخسر حبيبته فقط، بل خسر وطنًا خذله، وقانونًا باع صمته، ومجتمعًا يحتفي بالمشتري ويتجاهل المذبوح.

"المزاد الأخير"

تائهًا في غربتي، تلاشت كل أهدافي، تبخرت، وتحوّلت إلى غبار حلمٍ مؤلم... لكنه في النهاية، يظل هدفًا. أن أبتعد عن وطني، عن بلادي التي لم تعد تُطاق، بعدما صار فيها الظلم ممارسة يومية، وصرنا نعيش أزمة بلا أطراف، كأنها وحش يأكل من كل الجهات.

كلما ظنّ الحالمون أنها ستنتهي، قامت من رمادها، أشرس من قبل.

منذ عقد من الزمن، امتلأ قلبي بفرح لو قُسِم على العالم لكفاهم. والد الفتاة التي أحببتها وافق على زواجي منها. خطبتها منه شفهيًا، ومضيتُ بعدها أعوامًا أعيش على وعدٍ، أنسج من خيوطه أحلامًا وحنينًا، وأمنّي نفسي ببيتٍ صغير يجمعني بها.

لكن للأسف... كل ذلك كان وهمًا، وسرابًا، وانتهى كما ينتهي الغيم في عزّ الهجير.

لم تكن لي جريمة إلا أني فقير، ولم تكن لي خطيئة سوى أني أحببتها.

انقلب الفرح إلى شقاء، وفتح الطمع أبوابه، فتسابق المتسابقون إلى شرائها، نعم... إلى شرائها، فالجمال في مجتمعي سلعة، والمرأة تُعرض في مزادٍ صامت، يحضره الجميع دون أن يعترف أحدهم بجريمته.

اشترى جسدها رجل، لا ليحصن نفسه بها، بل ليُقال: "هذا الرجل حظّه عالٍ، اشترى الأجمل."
لكن الحقيقة أنه لم يكن إلا ذئبًا يلهث خلف كل ساقٍ عارية، وعينٍ ماجنة.

يتركها وحيدة، طاهرة، باكية، ويقضي لياليه في الأزقة والمقاهي الرخيصة، يطارد العاهرات اللائي يشبهن طباعه.

لم ترَ عينه جمالها، ولم يقدّر نقاءها. لم يفهم أنه امتلك جوهرة، لكن قلبه لا يعرف قيمة الذهب.

فاصبري يا آسية، كما صبرت امرأة فرعون، فالحياة وجهان، وما نحن فيه ليس إلا الوجه القبيح.

أما الوجه الآخر... ففي عدالة السماء.

2023/12/19
بقلم: نجيب أحمد محمد محسن...... ..

وتم كتاب رواية "إغتصاب شرعي" والحمد لله رب العالمين.